

الفروق الفردية وتأثيرها على شخصية الطالب وتحصيله الدراسي

عمر نصر الله

محاضر في كلية دافيد يلين للتربية

مقدمة:

في الغالب يصنف الناس بعضهم بعضا وفقا لاملاكهم أو عدم امتلاكهم لصفات معينة. ويثل هذا التصنيف يقوم على اعتبارات عملية يقوم بها الأفراد عند إنجازهم لمهام معينة. والخطأ الذي يقع فيه الناس في تصنيفهم لبعضهم البعض أنهم يهملون وضع فرد من الأفراد في الوسط أو قريبا من الوسط ويكتفون بوصف الآخرين وصفا متطرفا، دون إدراك أو معرفة وجود شيء وسط بين هذه الصفات (أبو النيل، 1986).

ويمكن القول بأن انعدام وجود الصفة بصورة تامة لدى الفرد لا يسير مع الفكرة الكمية للفروق الفردية، لأن كلمة كمية تعني وجود درجات من الصفة بالنسبة لكافة النواحي الجسمية والنفسية، (Anstasi and Foley, 1959).

وعليه فإن لكل مجتمع من المجتمعات، وشعب من الشعوب صفاته وعاداته، وطبائعه التي يتميز بها عن غيره، والتي يستدل بها عليه. وهذا يعني أن لكل إنسان صفاته الخاصة التي تميزه عن الآخرين ومن الصعب أن يتساوى فيها مع أحد، وهي تنعكس في جوانب سلوكه وتفكيره وتعامله مع البيئة التي يعيش فيها، (محمد، 1991). هذه الصفات من الممكن أن تكون جسدية ظاهرة، أو أن تكون نفسية مثل: سرعة الفهم والإدراك وقوة الملاحظة وإدراك الكل بصورة مفصلة وعملية، وعملية التذكر والانفعال، ومن الممكن أن تكون هذه الصفات مرتبطة بشخصية الفرد مثل: الانطواء أو الانبساط أو المخالطة أو العزلة، بالإضافة إلى السيطرة أو التبعية ... الخ هذه الفروق بين الأفراد والجماعات موجودة وقائمة منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض. فقد أشار إليها أفلاطون وأكد على أهميتها في كتاب الجمهورية حيث قال: "أنه لا يولد اثنان متشابهان، بل يختلف كل

منهما عن الآخر في المواهب والقدرات الطبيعية مما يجعل احدهما يصلح لعمل ما، بينما يصلح الثاني لعمل آخر"، (Anstasi and Folley ,1959).

إن لكل فرد حاجاته الخاصة التي يجب العمل على إشباعها لكي يصل إلى أقصى درجات النمو التي تؤهله له هذه الصفات التي تميزه عن غيره من الأفراد، وقد أجريت محاولات عديدة لمعرفة أفضل الطرق لإشباع هذه الحاجات الفردية، وقد شملت مجالات عديدة مثل: أسلوب تعامل المربي مع طلابه، وصول المادة المعلمة إليهم، بالإضافة إلى أنواع المعلومات والخبرات التي من الممكن أن تشبع هذه الحاجات، وتؤدي إلى فهم السلوك الإنسان الذي يصدر من كل فرد، (محمد، 1991، Kelly 1974).

والسلوك الإنساني هو محصلة التفاعل الذي يحدث بين طبيعة الفرد أو العضو الذي يصدر منه السلوك، وطبيعة الموقف الذي يوجد فيه الفرد أو العضو، لذلك نقول بأن سلوك الفرد لا يظهر بسبب قوى أو ضغوط تنبع من داخل الفرد نفسه، ولكنه نتيجة لعملية التفاعل بين القوى الداخلية والخارجية في الفرد، التي توجد في البيئة التي يعيش فيها وتحيط به. كما أن طبيعة تكوين الفرد تساهم في تحديد السلوك الذي يقوم به، وهي تتأثر بالعديد من العوامل والأسباب، كالوراثة والبيئة التي ينمو فيها، والثقافة التي ينشأ في ظلها، ونوع التعليم والخبرة التي يحصل عليها، وغير ذلك من عوامل وأسباب لها أهمية وتأثير على تحليل السلوك الإنساني، وهما التفرقة بين السلوك اللفظي والفعلي، وموضوع الفروق الفردية الذي يبرز الاختلافات بين الأفراد والتي لا تكمن فقط في مظهرهم الخارجي وإنما تتعدى ذلك لتشمل ذكاءهم، ورغباتهم ودوافعهم وشخصياتهم، واستجابات ممكنة للمواقف المختلفة، (الغمري، 1983، خير الله، 1973).

والسلوك اللفظي هو ما يصدر عن الفرد من ألفاظ في المواقف المختلفة التي يتعرض لها، بينما السلوك الفعلي هو ما يصدر عن الفرد من تصرفات فيما يتعرض له من مواقف.

وسلوك الفرد الفعلي هو الذي يهمننا ويعنينا عندما نريد الحكم على ما يصدر منه من تصرفات وردود فعل، ولا نهتم بالسلوك اللفظي الاهتمام الكبير، كما أن الذي يحتاج دائما إلى تقويم هو أيضا السلوك الفعلي، لأن السلوك هو مجموعة التصرفات وليس مجموعة الألفاظ الناتجة عن الشخص لمواجهة ما يعترضه من مواقف مختلفة، (المراجع السابقة).

الفروق الفردية معناها وأبعادها

الفروق الفردية ظاهرة رئيسية من ظواهر الحياة الإنسانية والاجتماعية وبدونها لا تستقيم هذه الحياة. وهي التي تعطي المجتمع الإنساني الخصوبة والتفاوت، التباين والتداخل. حيث من هذا التباين يتكون المجتمع فيتفاعل مع بعضه البعض وتتنظم وظائفه، وتتضح وظائف الأفراد المختلفين في بناء ذلك المجتمع.

إن فهم الجوانب التي تتشابه ويختلف فيها أفراد المجتمع، أي البحث عن الجوانب الثابتة في الإنسان وتلك التي يتميز فيها كل فرد عن غيره من الأفراد يعد من بين المشكلات الصعبة في علم النفس، وتدلل الدراسات النفسية لظواهر النمو والدافعية والتعلم، أن الشخص يختلف عن الآخر بسبب خصائصه الفردية التي انتقلت إليه بالوراثة، وبسبب خبراته التي مر بها في ثقافته وتعلمه في منزل الأسرة وفي المدرسة والحياة اليومية. لذا فمن الضروري أن يتعرف المعلم على المستوى الذي يعمل فيه كل فرد، لكي يقوم بوضع الواجبات المدرسية التي تتناسب مع كل مستوى، وذلك لأن جزءا كبيرا من عمل المعلمين يتكون من العمل مع مجموعات الطلاب وليس مع أفراد منهم، ولهذا فإن المشكلة المتعلقة بالفروق بين الأفراد، تعتبر معقدة بسبب حجم المجموعات والتغير في خواصها الذي يشكل مستويات الصفوف أو مجتمعات الأفراد الذين نريد العمل معهم بما يتفق وقدراتهم ومستوياتهم التعليمية، وقد تزداد حدتها في التعليم الابتدائي حيث يكون لكل معلم ما يقرب من أربعين طالبا أو أكثر في الصف الواحد، (عبد الغفار، 1987).

والفروق الفردية تعني أيضا عدم تساوي جميع المتعلمين ووجود اختلافات بينهم في مستويات وخصائص نموهم المختلفة، وفي استعداداتهم وقدراتهم وميولهم ورغباتهم وأمزجتهم وأدائهم لانجاز ما يطلب منهم من أعمال، وفي الخصائص والصفات الجسمية والنفسية. ويمكن تفسير الفروق الفردية على أنها الانحرافات عن متوسط الجماعة في صف أو سمة من السمات الجسمية أو النفسية، (الشيبياني، 2001، 185).

أيضا الفروق الفردية هي عبارة عن ظاهرة التي توجد بين جميع الكائنات الحية، وتظهر الاختلافات الداخلية والخارجية لدى جميع أفراد النوع الواحد، حيث نجد لدى كل فرد من أفراد النوع الواحد طرقه وأساليبه الخاصة في التكيف والاختلاف، وهذه الاختلافات ضرورية من أجل استمرارية الحياة، (نصر الله، 2001، 117).

وعليه فإن المعنى العام للفروق الفردية يقول: بأن الناس يختلفون في مستوياتهم العقلية اختلافا كبيرا، حيث منهم العبقري، والذكي، ومتوسط الذكاء والأبله. وقد يضيق مدى هذه الفروق أو يتسع وفقا لتوزيع المستويات المختلفة لكل صفة من الصفات والقدرات التي نريد تحليلها ودراستها. وهذه الفروق تكون إما في الدرجة أو في النوع. ويعتقد بعض الباحثين أنه بالتدريب يمكن أن يبلغ الفرد مبلغا كبيرا في تطور قدرة من القدرات، إلا أنه مهما كانت كمية التدريب فإن بعض الأفراد لا يستطيعون أن يصلوا حدا من الكفاءة في مهارات معينة يمتلكها غيرهم من الناس.

وبما أن السلوك يتميز بثلاثة مبادئ رئيسية هي: 1. مبدأ السببية 2. مبدأ الدافعية 3. مبدأ الهدف

فيمكن أن نرى أن هناك قدرا معينا من التشابه في السلوك الإنساني، ولكن ذلك لا ينفي وجود فوارق فردية، ولهذه الفروق دلالتها وأهميتها، فهي تعني أنه يمكن الاستفادة منها في إثارة دوافع التحصيل والعمل، وحصول الأفراد على الإشباع المهني والشخصي، إذا ما تعاملت معهم بطرق مختلفة تتفق مع فروقهم الفردية. وإغفال الفروق الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية القائمة والموجودة بين الأفراد له تأثير سيء على الفرد نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه. ومما لا شك فيه أن إغفال هذه الفروق لا يساعد في تحفيز الأفراد على التحصيل والإنجاز في الأطر المختلفة التي يتواجدون فيها. كما وأنه لا يساعد على حل مشاكلهم وتوجيههم إلى الجوانب التي تناسبهم، مثل المهنة والأعمال ونوع التعلم الذي يعتبر من أهم الجوانب في المراحل المختلفة من حياة الفرد. وهكذا فإن تجاهل الفروق الفردية وعدم مراعاتها يؤدي إلى خلق وضع تختلط فيه جميع الأمور ولا يأخذ الفرد مكانه الحقيقي في الحياة ولا يأخذ الفرصة لكي يظهر الجوانب الايجابية الموجودة لديه التي تؤهله أن يقوم بالوظيفة المناسبة له والتي من خلالها يخدم المجتمع بالشكل الصحيح دون الوقوع في أخطاء من الممكن أن تكون لها أبعاد صعبة جدا، (الغمري، 1983).

وعليه فإنه وبالرغم من أهمية تمييز الفروق الفردية بين الأفراد، إلا أنه يلاحظ تجاهلها سواء في محيط الأسرة التي يعيش وينشأ فيها الفرد، والتي تعتبر الخطوة الأولى في حياته، والمكون الأساسي لشخصيته، لأنه يعتمد عليها في كل شيء، ويأخذ منها جميع العادات وأنماط السلوك المتبعة فيها، لذلك فإن الطفل يتأثر في الأسرة في مراحل الحياة

الأولى بصورة واضحة تترك أثراً عليه في المراحل الأخرى القادمة، أو في إطار المدرسة التي تعتبر المكون الثاني والمهم لشخصية الطفل، وتلعب الدور الفعال في حياته. لأنه يقضي فيها وقتاً طويلاً يلتقي فيه مع أبناء جيله أو الأجيال الأكبر يتعلم منهم ويعلمهم، يتأثر ويؤثر فيهم، ثم يلتقي مع المعلمين أو أعداد منهم ويتأثر في شخصياتهم وأعمالهم لدرجة كبيرة، وفيما بعد مجال العمل الذي سوف يخرج إليه الفرد ليعمل فيه، بعد أن أعد الإعداد الكافي والمناسب في إطار الأسرة والمدرسة.

من المحادثات الشخصية مع الآباء والأمهات في المؤسسات المختلفة لوحظ أن الآباء يميزون ويفرقون بين أبنائهم سواء في القبول والمحبة والعطاء، أو في عملية الطلبات التي تطلب من كل فرد داخل الأسرة، أو بالتوقعات التي يتوقعها الأهل من كل فرد، ودفعهم الأبناء أو قسماً منهم للتعلم أو للعمل في المهنة التي يعمل فيها الآباء حتى وأن لم يتوافر لدى الأبناء الاستعدادات والقدرات التي تتطلبها هذه المهنة أو الموضوع الدراسي، ودون اهتمام أو مراعاة للفروق الفردية. طبيعي أن مثل هذه الأعمال والتوقعات ودفع الأبناء للقيام في أعمال لا يرغبونها أو تفضيل الفرد عن الآخر داخل البيت الواحد يؤدي إلى نتائج غير مقبولة أو متوقعة، وفي أغلب الأحيان يكون لها تأثير نفسي سيء على الأفراد يؤدي بدوره إلى تأثير على قدرات واستعداد الفرد بصورة عامة ويؤدي إلى تدني التحصيلات العلمية والمعرفية والمدرسية لديه، لأن جميع طاقاته النفسية والجسدية تنصب في مجال واحد وهو معرفة سبب التفرقة داخل الأسرة، الأمر الذي تكون نتيجته في النهاية فشل هذا الفرد في جميع الأعمال التي يحاول القيام بها، لأنه لم يأخذ الاهتمام الكافي والفرصة المناسبة لكي يصل إلى الراحة النفسية التي بدونها لا يمكن أن يقوم بإنجاز أي عمل أو فعالية كما هو مطلوب.

أيضاً ما يحدث داخل الأسرة من الممكن أن يؤثر على العلاقات الأسرية الاجتماعية بين الأخوة أنفسهم أو بين الأخوة والأهل. والصعوبة تزداد إذا ما نجح أحد الأفراد والآخر لا يستطيع النجاح لأنه لا توجد لديه القدرات والاستعدادات والمؤهلات التي تساعد على الوصول للنجاح في هذا الجانب. مما يثير غضب الأسرة عليه. ورفضها له لما يصدر منه من أعمال، ويجعلها تنظر إليه دائماً على أنه لا فائدة منه، وأن الأخوة الآخرين أفضل منه. وهكذا وبصورة شعورية معرفية أو لا شعورية ومبنية على عدم المعرفة وعن طريق ردود الفعل التي تصدر من الأسرة يزداد التأثير السلبي والمهمل

لأحد الأفراد دون الاهتمام بالفروق الفردية أو حتى معرفة وجودها والعمل على مساعدة الفرد للتغلب عليها أو خفض تأثيرها عليه.

أما داخل المدرسة، فالتربية الحديثة تنادي بوجوب إتاحة الفرصة للتعليم والتعلم للجميع ودون استثناء. الأمر الذي يؤدي إلى وجود أعداد كبيرة من الطلاب داخل الصفوف يتميزون ويتفاوتون فيما بينهم في جميع النواحي والصفات. لأن كل واحد منهم يأتي من أسرة تختلف في تصرفاتها ومعاملاتها وتربيتها عن الأسر الأخرى، وهذا ينعكس على الطالب داخل الصف والمدرسة في صفاته الخاصة، سلوكه وقدراته واستعداده للتعلم والحياة الاجتماعية مع أبناء جيله. أي أن الطلاب في الصف الواحد توجد بينهم اختلافات من حيث المقدرة على التعلم والتكيف، واختلافات من ناحية الأعمال العقلية والزمنية والصفات الجسدية، بالإضافة إلى الصفات النفسية الشخصية الأخرى، مثل: الميول والهوايات، ... الخ، (نصر الله، 2001).

تعلم الصف الواحد الذي يضم هؤلاء الأفراد المختلفين من كل الجوانب يعتبر من أصعب المشاكل التي تقف أمام المعلم. لأنه لا يستطيع القيام بالتعليم بنفس المستوى للجميع وإشباع حاجاتهم ورغباتهم وقدراتهم، والحصول على نتائج مرضية لدى الجميع. ومجرد عمله في مستوى معين يعني إهمال قسم كبير من الطلاب الذين لا يتواجدون في نفس المستوى المعرفي والقدرات التعليمية.

وهؤلاء الطلاب بطبيعة الحال سيكونون الضعفاء، والذين سوف تؤدي بهم هذه العملية لفقدان الثقة بالنفس وجعلهم يكرهون المدرسة وينفرون منها. وإذا حاول المعلم السير بمستوى الضعيف، كان في ذلك مضيعة لوقت الطالب القوي أو المتفوق الذي سيشعر حتما بالملل، وعدم وجود ما يملأ وقته داخل الصف، أثناء قيام المعلم بتعليم الحصة. وهذا يعني عدم المقدرة على التوفيق بين هذه المستويات المختلفة الموجودة في الصف الواحد.

وبالإضافة إلى وجود الفروق العديدة والكبيرة بين طلاب الصف الواحد، توجد فروق مماثلة داخل الأفراد أنفسهم (Intra Individual Differences) فمثلا الطلاب المتفوقون من الناحية التحصيلية العلمية من الممكن أن يكونوا على عكس ذلك في نواحي أخرى، مثل القوى البدنية أو الصحة النفسية، أو التكيف الاجتماعي، أو الخبرة السابقة لدخولهم المدرسة... الخ بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي لها أثر على نفسيات الأفراد

وبالتالي تؤثر على تحصيلهم التعليمي. مثل شعورهم بالثقة والاطمئنان ومعاملة الوالدين لأبنائهم، ومستويات الأبوين الاجتماعية والعلمية والمادية والى غير ذلك من العوامل التي يكون لها أثر على تحصيل ومكانة الطالب داخل الصف وبين زملائه.

أي يمكن أن نقول بأن هناك عدة أنواع من الفروق الفردية من أهمها:

الفروق الفردية بين الأفراد: تعني اختلاف الأفراد عن بعضهم البعض من حيث قدراتهم العقلية والمعرفية، وسماتهم الشخصية وصفاتهم الجسدية الخارجية التي تظهر في اختلاف الأفراد في مستوى نموهم ونضجهم الجسدي.

والفروق الفردية في ذات الفرد التي تعني اختلاف قدرات وسمات الفرد الواحد من حيث القوة والضعف في الجوانب المختلفة لديه، وهذا النوع من الفروق يهدف إلى مقارنة النواحي والجوانب لدى الفرد نفسه.

وأيضاً توجد الفروق بين الجماعات حيث تختلف الجماعات في خصائصها ومميزاتها، وهذه الفروق تفيدنا في دراسة سيكولوجية الجماعات وخصائص النمو الإنساني. هذا بالإضافة إلى دراسة العوامل التي من الممكن أن تكون المسؤولة عن الفروق حتى يكون بالإمكان العمل على تطوير ونمو الصالح منها وإيقاف السيئ، (خير الله، 1978: 310 - 312).

وهناك الفروق الفردية الانفعالية التي تظهر في مستويات ومعدلات نمو الأطفال الأفراد ونضجهم الانفعالي، وفي مدى استقرارهم الانفعالي وصحتهم النفسية ومدى تكيفهم مع ذاتهم ومع محيطهم الخارجي.

أما الفروق الخلقية والاجتماعية فهي التي تظهر في مستويات نضج الأفراد الاجتماعي وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم وعاداتهم الدينية والخلقية الاجتماعية، (الشيباني، 2001، 186).

في مثل هذه الحالة ومع بدء اتساع مشكلة الفروق الفردية وتزايدها في الصف الواحد وداخل المدرسة أخذ قسم من المربين يعتني بها وحاولوا التعرف على أسبابها وطبيعتها، لكي يجدوا لها حلاً مناسباً.

أسباب الفروق الفردية وطبيعتها

إن العمل المدرسي بطبيعته يرتبط بمجموعات من الطلاب يختلف كل منهم عن الآخر في طبيعته الخاصة وفي درجة النمو التي وصل إليها في كل جانب من جوانب شخصيته. وعلماء النفس يختلفون فيما بينهم في تفسير أسباب الفروق الفردية القائمة والموجودة بين الأفراد في الذكاء والقدرات العقلية الأخرى، والفروق في النواحي المزاجية وفي الميول والاتجاهات، والخصائص الجسمية وفي التحصيل، الدراسي والمعرفي. وهذه الفروق هي سبب ما يلاحظ من اختلاف الطلاب بعضهم عن بعض في مواجهتهم لمواقف التعلم المختلفة ومعالجتهم للمشاكل التي تقابلهم بصفة عامة. هذه الأسباب من الصعب أن نحددها تحديدا دقيقا لأنها كثيرة ومتداخلة ومن غير الممكن حصرها جميعا، ونستطيع أن نقول أنها ترجع إلى مجموعتين من العوامل: الوراثة والبيئة. والحقيقة أن هذا التقسيم ليس تقسيما دقيقا ومقبولا لأن الفروق الفردية بين الأفراد ترجع إلى تفاعل العوامل الوراثة مع العوامل البيئية. التي تؤثر على استجابة الفرد وسلوكه تجاه أي مثير داخلي أو خارجي في أي جانب من جوانب الحياة ومواقفها وأي مرحلة من مراحل النمو، (وجيه، 1975).

من الصعب تحديد مدى تأثير كل من البيئة والوراثة على سلوك الإنسان ومظهره، وقدرته على التعلم بدرجة من الدقة، ولكن علماء النفس قد أشاروا إلى أن هذا التأثير يختلف مداه من مظهر أو صفة إلى أخرى، من صفات الفرد الجسدية والسلوكية. وأن هذا التأثير لهذين العاملين متبادل مع بعضهما البعض، والتفاعل بينهما يؤدي إلى نتيجة كلية هي شخصية الفرد، أي أننا أبناء الوراثة والبيئة في آن واحد، (الشيباني، 2001).

أما بالنسبة لطبيعة الفروق الفردية بين الأفراد، هناك حقيقة هامة تقول "أن هذه الفروق كمية فقط وليست فروقا نوعية" أي أن جميع الصفات والقدرات والاستعدادات متوفرة في كل فرد وأن الفروق بين الأفراد تنحصر فقط في مقدار توفر الصفة أو القدرة لدى كل واحد منهم، فمثلا هناك فرق في مستويات الذكاء حيث يوجد ضعاف العقول ويوجد العباقر، ولكن لا يوجد فرد خال تماما من الذكاء. وهكذا بالنسبة لجميع الصفات الأخرى، وأن امتلاك الأفراد لأي صفة يتمثل بمقياس متصل اتصالا تاما يسمى المقياس المتصل، لا نستطيع أن نحدد له بداية أو نهاية تحديدا قاطعا كما لا يمكن تقسيمه إلى

فترات منفصلة. وبين كل درجة وأخرى على هذا المقياس يوجد عدد لا حصر له من الدرجات الأخرى لنفس الصفة، (أغمري، 1983).

إن توزيع الصفة للأفراد المختلفين على المقياس المتصل لا يقتصر فقط على الصفات النفسية وإنما يمتد ليشمل جميع الصفات والقدرات العضوية، وقوة الحواس - وغيرها من الصفات الجسمية أو الذهنية أو الانفعالية.

ومن المؤكد أنه كلما زادت معرفة المعلم لهذه الفروق سهل ذلك عليه تدريب الطلاب وتوجيههم نحو تحقيق الأغراض التربوية المختلفة، على أساس من الفهم الحقيقي والتعرف على درجة الاختلاف بينهم في القدرات ونواحي التحصيل، وسمات الشخصية وغير ذلك من النواحي، وأن يحقق لكل منهم أقصى ما يمكن أن يحققه على ضوء هذه الاعتبارات، وعلى ضوء صالحه وصالح الجماعة.

وفي هذا المجال نذكر وجود عدة أمور يجب أن يضعها المعلم في اعتباره لكي يقوم بواجبه كاملاً ويوجه الطلاب التوجيه المناسب:

1. إن وجود فروق فردية بين الطلاب أمر طبيعي. وهي تشمل نواحي الشخصية المختلفة الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية. وعليه فيجب أن لا نستغرب وجود فروق بينهم في الذكاء أو في الاستعدادات العقلية الأخرى، مثل اللغوية أو الميول أو في الاتجاهات أو سمات الشخصية المختلفة كالانطواء أو الانبساط أو المثابرة.

2. إن وجود فروق بين الناس في الخصائص العقلية أو المزاجية أو الجسمية أو غيرها لا يعني وجود أو عدم وجود هذه الخصائص عند فرد ما، أي أن الناس يختلفون في درجة وجود هذه الخصائص. لذا يجب النظر إلى الفروق على أنها مسألة درجة فحسب، لا على أنها مسألة خصائص توجد أو لا توجد.

3. إن وجود الفروق الفردية يساعد على تحسين الحياة وسيرها السير الطبيعي. فالحياة لا يمكن أن تقوم إذا كان الناس جميعاً من درجة ذكاء واحدة. ووجود الفروق الفردية لا يعني أن نحاول القضاء عليها بقدر ما يعني العمل على ضوء معرفتها واستخدامها لخير الجميع.

4. إن بعض الفروق الفردية يرجع إلى الصفات الوراثية التي تغلب عليه بصورة واضحة، وبعضها يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها الفرد والظروف الاجتماعية التي

تحيط به، ويمكن القول أن معظم الفروق الفردية تتداخل فيها الوراثة والبيئة، وأن إمكانية التحكم فيها تأتي من جانب العوامل البيئية التي يمكن أن نخضعها للتغيير، والتأثير في الصفة المراد تعديلها تبعاً للتغيير الحادث.

5. إن وظيفة التربية والمدرسة أن تتعرف على هذه الفروق الموجودة بين الطلاب، وأن تكشف عن المواهب والاستعدادات وتعمل على اطراد نموها إلى أقصى حد ممكن، وأن تكشف الجانب الذي يمكن أن يبدع فيه الطالب وتعمل على تنميته وتطويره وأن تراعي الجوانب الأخرى حسب الحاجات التعليمية المختلفة، (الشيواني، 2001؛ خير الله، 1978).

واليوم أغلب مدارسنا لا تراعي هذا الجانب، وإنما تعامل جميع الطلاب على أنهم متساوون وتوجد لديهم نفس القدرات والاستعدادات، وتعرض عليهم برنامجاً تعليمياً واحداً تسير عليه دون تغيير أو تبديل بالرغم من زيادة الحاجة في السنوات الأخيرة إلى مراعاة استعدادات الطلاب وما بينهم من فروق، والعمل على نمو هذه الاستعدادات والقدرات والصفات وتهيئة أفضل الظروف والإمكانات لهذا النمو والتي تعتبر بالنسبة لكل طالب واجباً أساسياً من واجبات المدرسة لا تستطيع أن تنكره.

ومراعاة المدرسة للفروق الفردية يجب أن تكون في المواد الدراسية التي تعطى للطلاب من خلال تطبيق وتنفيذ المنهاج التعليمي المقرر لهم. بالإضافة إلى جوانب شخصية الطالب المختلفة من خلال الاهتمام بما يحدث داخل الصف وخارجه أثناء التواجد في المدرسة والقيام بالنشاط الدراسي المنهجي، وأثناء اللعب والنشاط الحر والاجتماعيات العامة والرحلات.

ولقد أثبتت الأبحاث أن الأطفال يولدون مختلفين وأن الخبرات المختلفة التي يمرون بها خلال حياتهم تزيد من هذه الفروق. ولم ينجح التعليم في الماضي في جعل الطلاب جميعاً متماثلين، ولن يستطيع ذلك في المستقبل.

وعليه فإن أفضل ما يستطيع فعله التعليم، أن يتعامل مع الطلاب حسب طبيعتهم الخاصة وحسب الفروق الموجودة لديهم، حتى يستطيع أن يصل بكل منهم إلى أقصى ما تؤهله له استعداداته وإمكاناته الخاصة، وهو الهدف الأساسي الذي يجب أن توجه له المدرسة عنايتها، لأنه لا يوجد أطفال أغبياء أو أذكى، ولكن يوجد أطفال الذين لديهم استعدادات إمكانات مختلفة وإمكانية نجاحهم فيها عالية جداً إن لم تكن أكيدة إذا أخذ كل

واحد منهم الفرصة المناسبة لذلك، والتي تتفق مع إمكاناته الخاصة، حتى لا يصطدم بأي حاجز يمنع تقدمه الشخصي.
لذا يتوجب على المدرسة معاملة الطلاب كأفراد كما هي طبيعتهم، كل فرد حسب مؤهلاته الشخصية ودرجة النمو التي وصل إليها، وهذا لن يتم إلا باستعمال الطرق والأساليب المناسبة لذلك.

الشخصية والفروق الفردية

لكل فرد شخصية وصفات يتميز بها عن الآخرين، وهذا يعني أن لكل فرد مجموعة من الصفات والمميزات التي تميزه عن غيره من الأفراد. لذلك تعتبر الشخصية مجموعة من الصفات والمميزات الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التي يتمتع بها كل فرد، وبواسطتها نستطيع أن نميزه عن الآخرين، وهي التي تحدد ما سيكون عليه في المستقبل من قدرات ومكانة اجتماعية.

الجانب الجسدي يشمل الصحة العامة ومظهر الجسم وأبعاده المختلفة والتوازن في إفرازات الغدد خصوصا الصماء، بالإضافة إلى العيوب أو العاهات الجسدية، حيث من مجرد النظر إلى مجموعة من الأفراد نستطيع أن نميز مدى الاختلاف بينهم في العديد من الجوانب، والتي لا تؤثر فقط على مظهره الخارجي، وقدرته على القيام بالوظائف الحيوية المختلفة بل يمتد هذا التأثير ليضم جميع التصرفات التي تصدر من الفرد وأساليب تعامله مع العناصر البيئية التي من حوله سواء كانت بشرية أم طبيعية.

أما الجانب النفسي فيضم الجانب الذهني والانفعالي، وبما أن هذه الجوانب لها تأثيرها على قدرة التعلم لدى الفرد، لذلك من الضروري أن توضح بصورة مفصلة، (محمد، 1991).

أولاً: الجانب الذهني الذي يضم:

- 1- الاستعداد العقلي العام أو الذكاء العام
- 2- الاستعدادات العقلية الخاصة
- 3- الخبرات السابقة

الاستعداد العقلي العام يتضمن القدرة على الفهم والاستنتاج والمقارنة وغير ذلك من العمليات العقلية. أما الاستعدادات العقلية الخاصة فتضم عدد من الاستعدادات أهمها: الاستعداد لتذكر الخبرات، الاستعداد اللفظي والحسابي والمكاني والاستعداد للاستقرار، والاستنباط، والاستعداد الفني وهذه الاستعدادات الخاصة تتفرق إلى استعدادات أكثر دقة وأضيق.

أما الخبرات السابقة فهي تشمل معلومات نظرية أو خبرات عملية يتم للفرد تحصيلها عن طريق التعامل المباشر مع البيئة، وتضم أيضا المهارات التي يكتسبها الفرد.

ثانيا: الجانب الانفعالي

ويضم الصفات الانفعالية العامة، والثبات الانفعالي، بالإضافة إلى الصفات الانفعالية الخاصة، مثل: الانبساط والانطواء والعدوان والمسالمة والسيطرة والخضوع... الخ. كما يضم الميول والاتجاهات التي يكتسبها الفرد من تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها يؤثر ويتأثر بها، وجميع هذه الصفات تعبر عن تأثر الشخص بالمثيرات الخارجية تأثرا داخليا.

وللشخصية جوانب عديدة، على درجة من الأهمية، لأن لها أثر كبير على القدرات واستغلال الفرد لذكائه في الوصول إلى أفضل النتائج للفعاليات والمهام التي يقوم بها أو التي هو بحاجة إليها. هذه الجوانب الشخصية مثل درجة تكيف الفرد أو درجة انحراف شخصيته، بالإضافة إلى دوافع الفرد واتجاهاته والقوى التي تؤثر عليه في المواقف المختلفة، يمكن قياسها عن طريق استعمال الاختبارات الخاصة والمقاييس المختلفة التي تحقق المطلوب. لذلك أجريت الأبحاث والدراسات العديد التي حاولت أن تربط بين السمات والصفات المختلفة للأفراد كما تقيسها هذه المقاييس وقدرة هؤلاء الأفراد على التعلم والاستفادة من أساليب التدريس المختلفة.

من خلال طرح موضوع الفروق الفردية، ومدى تأثيرها على قدرة الفرد على الاستفادة من المواقف التعليمية المختلفة التي يهيئها ويحضرها له المعلم، وفي نهاية الأمر تبين أنها تؤثر على قدرته على التحصيل وتكون هي السبب الرئيسي في مدى الاختلاف والتباين بين تحصيلات وإنجازات الأفراد في الإطار الواحد.

وعليه يمكن القول أن الفروق الفردية الموجودة لدى كل طالب وأخر، اثر كبير على
تحصيل الدراسي لكل طالب، حيث نرى الطالب الذي يتمتع بقدرات عقلية ومعرفية والتي
تكون في الغالب عالية يحصل على درجات ممتازة ويكون تحصيله الدراسي بصورة
عامة عالي جدا ، وفي نفس الوقت نرى طالب آخر ضعيف لا توجد لديه القدرات
المناسبة والعوامل المساعدة على الوصول إلى التحصيل المناسب، الأمر الذي يكون له
الأثر الكبير على تحصيله الدراسي، والذي حتما سيكون متدني. أي يمكن القول بأن
الطالب الذي تكون لديه قدرات وفروق عالية فإن ذلك سوف ينعكس على تحصيله
الدراسي نظرا لتوفر العوامل الوراثية والبيئية المناسبة له. أما الطالب الضعيف والتي لم
تتوفر له القدرات والعوامل المساعدة على التعلم والانجاز فان ذلك ينعكس بشكل سلبي
على أدائه وتحصيله الدراسي، مما يجعله متأخرا وضعيفا تحصيلياً ومعرفياً،
(الشيواني، 2001).

وبما أن تحصيل الطالب المعرفي هو الهدف المركزي للمؤسسات التربوية، لذلك فان
جميع الدراسات التي أجريت في المجالات التربوية المختلفة، كان الهدف منها التعرف
على أفضل الطرق والأساليب التي يمكن استخدامها لمساعدة كل طالب على الوصول إلى
أقصى درجة ممكنة من التحصيل، عن طريق تحقيق حاجاته التعليمية الفردية.

في نهاية الأمر نقول أن الفروق الفردية موجودة بين الأفراد في جميع مراحل
أعمارهم وعلى اختلاف مواقعهم في الحياة، فإن ما يهمنا كمرابين في الدرجة الأولى من
هذه الفروق يجب أن تنال اهتمام وعناية المعلمين والعاملين في ميادين التربية المختلفة
وان تحظى بالاهتمام من جميع المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ومستوياتها ،
وعلى الجميع أن يؤمنوا بوجود أهمية للفروق الفردية بين المتعلمين والطلاب في ميولهم
وقدراتهم ومهاراتهم.. كما عليهم أن يتعرفوا على هذه الفروق ويعرفوا طبيعتها ونوعها،
ويعرفوا كيفية العيش والتعامل معها وذلك من خلال اختيار أساليب وسبل خاصة
لمواجهتها ومن ابرز وأفضل هذه السبل والأساليب التي من الممكن أن يستخدمها أو يلجأ
إليها المعلمين في مجال التعليم:

1. تقسيم الطلاب على الفصول الدراسية حسب قدراتهم العقلية وحسب المرحلة
العمرية التي يمر بها كل منهم لضمان تجانسهم قدر الإمكان، ولتيسير مراعاة
الفروق الفردية بينهم ومعاملة كل فئة بما يتناسب مع مستواها العقلي والمرحلة

العمرية التي يمر بها أفرادها ولتطبيق هذا الإجراء أو الأسلوب يمكن توزيع الطلاب وتقسيمهم إلى مجموعات متفوقة متوسطة ومتأخرة في الذكاء.

2. العمل على جعل المناهج والبرامج الدراسية المتبعة التي يعمل المعلمين على تنفيذها داخل الصف الدراسي، وتنظيم وترتيب المادة الدراسية بما يتناسب مع مستويات وقدرات الطلاب وكذلك النشاط المدرسي الخارجي الرياضي الثقافي والفني والاجتماعي. هذا بالإضافة إلى العمل على تبسيط وسائل التدريس والتدريب والإرشاد بحيث تكون مراعية للفروق الفردية بين التلاميذ وملائمة لقدراتهم العقلية والمعرفية ومستوى نضجهم ومستوياتهم العقلية وخصائصهم النفسية المختلفة، فما يناسب المتفوقين عقليا ودراسيا قد لا يناسب المتخلفين، فلكل من هذه الفئات الأسلوب الملائم لهم في التدريس والتوجيه والمعاملة، وعلى المعلم أن يحرص بقدر الإمكان على إبقاء التلاميذ المتفوقين والمختلفين قليلا في فصولهم العادية ليتحقق اندماجهم وتكاملهم مع أندادهم وأقرانهم مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، ومحاولة الوصول بكل منهم إلى المستوى الذي تؤهله له استعداداته وإمكاناته وقدراته ودرجة نضجه وظروفه الخاصة ومعاملة كل منهم بما يناسب ظروفه وحاجاته الخاصة.

3. الاهتمام بتطوير وتحسين برامج إعداد المعلمين السابق على دخولهم للعمل وبرامج تدريبهم اللاحق المستمر أثناء الخدمة، بما يمكنهم ويؤهلهم لفهم وتشخيص ومقارنة الفروق الفردية بين تلاميذهم بكفاءة وفاعلية، وذلك من خلال تزويدهم بالدراسة العلمية النظرية الصحيحة والعميقة بالخبرات التي تمكنهم من معرفة مختلف طرق وأساليب واستراتيجيات التعليم والتدريس الحديث.

المراجع

- إبراهيم، أنعمري.(1983). السلوك الإنساني. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
إبراهيم، وجيه محمود. (1975). الفروق الفردية في القدرات العقلية. طرابلس:
منشورات الجامعة الليبية ، كلية التربية ، جامعة طرابلس.
الشيبياني، عمر محمد.(2001). علم النفس التربوي. طرابلس: إدارة المطبوعات والنشر
جامعة الفاتح.
أنا، ستازي. وجون، فولي. (1959). سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات .
الجزء الأول ترجمة: محمد خيرى وآخرين.
خير الله ، سيد. (1973). علم النفس التعليمي. القاهرة: مطبعة دار العالم العربي.
خير الله ، سيد. (1978). علم النفس التربوي. بيروت: دار النهضة العربية.
محمد عبد القادر، عبد الغفار. (1987). المدخل لعلم النفس الفارق . القاهرة: دار
النهضة العربية.
نصر الله، عمر. (2001). أساسيات في التربية العلمية. عمان: دار وائل للنشر.
عبد العظيم محمد، نادية. (1991). الاحتياجات الفردية للتلاميذ وإتقان التعلم .
الرياض ، السعودية :دار المريخ للنشر.

Anastasi, Ame. and Foly. John P.(1959). **Differential psychology.**
Newyork: Macmillan co.
Kelly, A.V. (1974). **Teaching mixed ability classes.**
Individualized Approach. London :Harper and Row, publishers.